﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٣ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٤﴾ [الأحقاف: 13 - 14]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِما قبلَهُما:

بيانُ حقيقةِ المُحسنينَ وأحوالِهِم

لمّا بيَّنَ اللّه تعالى أنَّ الرَّسولَ ﷺ حَقٌّ، وأنَّ الآياتِ صِدقٌ، وأنَّ وظيفةَ الرَّسول ﷺ إنذارُ الظّالمينَ وتبشيرُ المُحسِنينَ؛ ناسَبَ أن يُبيِّنَ حقيقةَ المُحسِنينَ وأحوالَهُم، وما يَنالونَهُ من نعيمٍ هو حقيقةُ البشرى وخصائصُها الَّتي وُعِدوا بها في الدُّنيا والآخرة، فقال سُبحانَهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٣ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾: (قوم) تدلُّ اشتقاقاتُه على أصلين، أحدهما: جماعةُ ناسٍ، والآخرُ: انتصابٌ أو عَزْمٌ[2]، وكلُّ مَن كان على الحقِّ؛ فهو القائمُ المُمسِكُ به، والقيِّمةُ: الملَّة المُستقيمةُ، والرَّجُلُ إذا انقادَ، واستمرَّت طَريقتُهُ، فقد استقامَ لِوَجْهِهِ[3]، والاستقامةُ: اعتدال الشَّيء واستِواؤُهُ[4]، والاستقامةُ: الاعتدالُ، يقالُ: استقامَ لهُ الأمرُ، وقوَّمْتُ الشَّيءَ، فهو قَويمٌ، أي: مُستَقيمٌ[5]، وحقيقةُ الاستقامَةِ شرعًا: سلوك الصِّراطِ المستقيم، وذلك يشمَلُ فعلَ الطّاعاتِ الظّاهرة والباطنةِ[6]، وترك المنهيّات، وهذا هو المعنى المرادُ في الآيَةِ.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 143.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قوم).
(3) الخليل، العين: (قوم).
(4) الأزهري، تهذيب اللغة: (قوم).
(5) الجوهري، الصحاح: (قوم).
(6) ابن رجب، جامع العلوم والحكم، ص: 510.

2) ﴿أَصۡحَٰبُ﴾: (صحب) تدُلُّ تصاريفُه على ملازمةِ الشَّيءِ بقوَّةٍ[1]، وقد يُطلَق على مُطلقِ المقارنةِ[2]، والأصحابُ: جمعُ صاحِبٍ، مثلُ: أشهادٍ جمعِ شاهدٍ[3]، وذهب بعض أهل اللُّغةِ إلى أنَّ: الأصحابَ جمعُ صَحْبٍ، والصَّحبَ جمعُ صاحبٍ[4]، ومِن معنى الملازَمة: سُمِّيت الزَّوجَةُ صاحبةً، كما في قول الله تعالى: ﴿يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ١١ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ١٢﴾ [المعارج: 11 - 12]؛ لملازمَتِها زَوْجَها.

و"أصحاب النّار" في القرآن الكريم، المرادُ: أهلُها المعذَّبونَ فيها، إلّا في موضعٍ واحد، فيُرادُ به: خَزَنَتُها، وهو الواردُ في قول الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗ﴾ [المدثر: 31][5].

وأمّا ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ﴾؛ فهُم أهْلُها المنعَّمون فيها من أهل الإيمان المُلازِمونَ لها الخالِدونَ فيها.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يُبَيِّن اللهُ تَعالى حقيقةَ المحسنين، وهُمُ الذين آمنوا باللّه تَعالى ربًّا ومعبودًا بحقٍّ، ثُمَّ استَقاموا على طاعته، وثبَّتوا إيمانَهم قولًا وعملًا واعتقادًا، فهؤلاءِ لا يصيبُهم الخوفُ مِن أهوالِ يومِ القِيامَةِ، ولا يَحْزنون على ما فاتهم من زخارفِ الدُّنيا وزينتها، وهَؤلاء هُم أهلُ الجنَّة ماكثينَ فيها أبدًا، جزاءً منهم على ما قَدَّموا من عملٍ صالحٍ في حياتهم الدُّنيا[6].

حكمةٌ سائرةٌ لا يَجمَعُ الله خَوْفَي الدُّنيا والآخِرة

(1) محمّد حسن محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصَّل: (صحب).
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (صحب).
(3) الأزهريّ، تهذيب اللُّغة: (صحب).
(4) الخليل بن أحمد، العين، والجوهريّ، تاج اللُّغة وصحاح العربيَّة: (صحب).
(5) السّيوطي، الإتقان في علوم القرآن: 2/ 158.
(6) نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، ص: 503.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغةُ فصلِ الآية عمّا قبلَها:

أثَـرُ الاستِئنافِ البَيانيِّ في إبراز مُتابعَة المُتلقّي وشَوْقِه

فُصِلَ قولُ اللّهِ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ﴾ عمّا قبلَهُ لوقوعِهِ استئنافًا بيانيًّا، فبين الجملتين شبهُ كمالِ الاتِّصال، وذلك أنَّ قولَ الله تعالى: ﴿وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُحۡسِنِينَ﴾ يبعَث في نفس المتلقّي سؤالَيْن، **أحدهما:** عمَّن يتَّصفُ بالإحسان، **والآخر:** عن البِشارة الَّتي يَنالونَها جزاءَ ذلك الاتِّصاف[1]، فجاء الجواب في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ﴾؛ لبيانِ أنَّ البُشْرى هي نفس الخوف عمّا يُستقبَل، ونفيُ الحزنِ عمّا مضى، وأنَّ لهم الجنَّةَ على وجه الخلودِ فيها، وأنَّ المحسنينَ هم الذين قالوا: ربُّنا الله، ثُمَّ استقاموا في أعمالِهم[2].

وصُدِّرت جملةُ الاستئنافِ البيانيِّ بـ ﴿إِنَّ﴾ المُؤكِّدة؛ للدَّلالَةِ على تَعليلِ الاتِّصافِ بـ (المُحسنين) على سبيلِ التَّأكيدِ والتَّقويةِ للحُكمِ المَذكور.

بلاغةُ الاكتفاءِ:

الاقتِصارُ عَلى بيانِ حالِ المُحسِنين دعوَةٌ للظّالِمين إلى الرُّجوعِ عَن باطِلِهم

اكتفى النَّظْمُ الكريمُ ببيانِ أحوالِ المُحسنينَ وبِشارَتِهم دونَ التَّعرُّض لبيانِ أوصافِ الظّالمينَ ونذارتِهم في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾؛ لأنَّ المحسنينَ هُم أهلُ الفَوزِ والنَّجاة، فَهُمُ الأشرفُ بالبَيان، كما أنَّهُ يُفهَمُ بدلالةِ المُخالفةِ أحوالُ الظّالمينَ وطبيعةِ إنذارِهم، وفيه أيضًا دعوةٌ ضمنيَّةٌ لهم للارتداعِ عن الظُّلْمِ والعَوْدِ إلى رُشدِهم، ويكون تقدير الآية: (إنَّ الذين قالوا: ربُّنا الله، ثمَّ استقاموا، فلا خوف عليهم، ولا هم يحزنون، أولئك أصحاب الجنَّة خالدين فيها؛ جزاءً بما كانوا يعملون، وأمّا الظّالمون؛ فهُم الَّذين أنكروا ألوهيَّةَ الله، وحادوا عن الطَّريق المستقيم، فهُم في خوفٍ ممّا

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 143.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 26.

يُستقبَلُ وحزْنٍ على ما مَضى، وأولئك أصحاب النّار خالدين فيها جزاءً على أعمالهم في الدُّنيا).

نكتةُ التَّعبيرِ بالاسمِ المَوصولِ وصلته:

تَمَكُّنُ الخبَرِ مِنَ النَّفْسِ بَعدَ استِشرافِها لَهُ

جاءَ التَّعبير بالاسم المَوصولِ وصلَتِهِ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾؛ لِما توحي به صلتُهُ من بيانِ علَّةِ نيلِ تلك البُشرى المَوعودِ بها[1]، كما أومأ الموصولُ وصلَتُهُ إلى وجهِ بِناء الخبر، وأنَّه من نوعِ النَّفعِ والخَير.

وفي التَّعريفِ بالموصوليَّة أيضًا تشويقٌ يناسِبُ تلك النُّفوسَ الَّتي تَتوقُ إلى سَماعِ جوابِ سُؤالها، فيتمكَّن الخبرُ مِنها غايةَ التَّمكُّن لورودِهِ على نفسٍ راغبةٍ مستشرِفَةٍ.

غرضُ التَّعبيرِ بفعلِ القولِ دونَ الإيمان:

إقرارُ المُحسنينَ بِرَبِّهِم سُبحانَهُ وإذعانُهم لَهُ واستِقامَتُهُم عَلى طاعَتِهِ

اختارَ النَّظم القرآنيُّ عندَ بيانِ أحوالِ المُحسنين في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ التَّعبيرَ بفعلِ القولِ دونَ الإيمانِ من باب الإيجازِ؛ إذ القولُ المذكورُ يُغْني عن أن يُقال: أذْعَنوا، وأقرّوا بالرَّبِّ سُبحانَهُ إلهًا حقًّا، فكان المرادُ أنَّهم قالوا ذلك، وأعلنوهُ، واعتقدوا مَعْناهُ، وعملوا بمقتضاهُ؛ إذ الأصلُ في الكلامِ أن يكونَ صِدْقًا، ولا سيَّما أنَّه محكيٌّ عن أهل الإحسانِ[2].

دلالةُ إضافةِ (رب) إلى ضميرِ الجَمْع:

مِن شَرَفِ المُحسنينَ مَربوبِيَّتُهُم للهِ تَعالى

أُضيفَ لفظُ (الرَّبِّ) إلى ضميرِ الجمعِ العائدِ إلى المحسنينَ القائلينَ: "ربُّنا اللّه" في قولِ اللّه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾؛ تشريفًا للمُضافِ إليه، وهُم المحسنونَ، فقد عَظُمَ قدرُهُم، ونَبُلَ شرَفُهم بكونِهم مَرْبوبينَ للّهِ تَعالى، وفيهِ إيماءٌ إلى أنَّ استقامتَهُم على الطّاعةِ من إحسانِ اللّهِ تعالى بِهِم.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 26.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 27.

دلالةُ الجُملةِ الاسميَّة ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾:

تَحقيقُ المُحسِنين للتَّوحيدِ الخالِص

جاءَ التَّعبيرُ بالجُملةِ الاسميَّة ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ الواقعةِ مَقولَ القَولِ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾؛ للدَّلالَةِ على إقرارِهم الثّابتِ الدّائم بربوبيَّةِ اللهِ وألوهيَّتِه.

وفي جملة مقول القول: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ أسلوبُ قصرٍ بتعريف طرفي الإسناد، أي: لا ربَّ لنا إلّا اللهُ سُبْحانَهُ، فيفيدُ ذلك التَّوحيدَ الخالصَ[1]، وقد أفادَ قصرُ الرُّبوبيَّة على الله تعالى التَّعريضَ والرَّدَّ على ما يقولُهُ المشركونَ من تعدُّدِ وصفِ الرُّبوبيَّة لله تعالى وغيرِه من مَعبوداتِهم الباطِلَة.

بلاغةُ تقديمِ وصْفِ ﴿رَبُّنَا﴾ على الاسم الأحسن:

إبطالُ اعتِقادِ المُشركينَ

قُدِّمَ وصفُ الرُّبوبيَّة على الاسمِ الأحسَن ﴿ٱللَّهُ﴾ في قولِه تعالى: ﴿قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾؛ لتحقيقِ الرَّدِّ على المُشركينَ بقَصْرِ الصِّفةِ على الموصوف، كما نقولُ: (المُنطلِقُ زيدٌ)، أي: لا غيرُهُ، بخلافِ ما لَو قُلنا: (زيدٌ المُنطلِقُ)؛ فإنَّه يفيدُ قصرَ الانطلاقِ عليه دون القعودِ والقيام، فلو جاءَ في النَّظم القرآني: (الله ربنا)؛ فإنَّ القصرَ حينئذٍ يكونُ لقصرِ اللهِ تَعالى على وصفِ الرُّبوبيَّة دونَ سائرِ صفاته، وهو مِن قصْرِ المَوْصوفِ على الصِّفةِ، وهو غيرُ مرادٍ في هذا المقام؛ إذ مقامُ الرَّدِّ على المُشركينَ الَّذين يَعتقدونَ تحقُّقَ الرُّبوبيَّة في الله تعالى وغيرِه يقتضي أن يتقدَّمَ الرَّبُّ على الاسمِ الأحسَنِ؛ ليكونَ القصْرُ مبطلًا لاعتقادِهم.

بلاغةُ الجمعِ بينَ عُنوانِ الرُّبوبيَّة والألوهيَّة في: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾:

تَوحيدُ الرُّبوبيَّة مُستَلْزِمٌ توحيدَ الألوهيَّة

جمعَ النَّظمُ القرآنيُّ بين الرُّبوبيَّة والألوهيَّة في قولِ اللهِ تعالى: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾؛ للدَّلالة على التَّلازمِ وعدمِ الانفكاك بينَهُما، وفيه

(1) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 17/ 465.

إشارَةٌ إلى أنَّ توجُّهَ المشركينَ لغير اللّه تعالى بالعبادةِ لا يَنفعُهُم في الإقرارِ بربوبيَّةِ اللّه تَعالى؛ إذ فَصَموا الصِّلةَ بينَهما، وفي إقرارِهم بالرُّبوبيَّةِ خللٌ؛ إذ اعتقدوا النَّفْعَ والضُّرَّ في غير اللّهِ تَعالى.

مَعْنى ﴿ثُمَّ﴾ ودلالتُهُ:

جَمْعُ المُحْسنينَ بينَ عمَلِ الظّاهِرِ والباطِنِ

﴿ثُمَّ﴾ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ حرفُ عطفٍ دالٌّ على التَّراخي والتَّفاوُتِ الرُّتبيِّ[1] بين الإقرار المستلزِم للقبولِ والإذعانِ، وبين العملِ الصّالح المعبَّر عنهُ بالاستقامةِ؛ وذلك لأنَّ باعثَ الاستقامَةِ – وهي لزومُ الطَّريقِ المستقيم – ما في القَلْبِ من الإقرارِ والمحبَّةِ والخوفِ، ولا يحصلُ كمالُها إلّا بتكرار مراقبَةِ النَّفسِ[2].

وفي هذا العطفِ دلالَةٌ على أنَّ هؤلاءِ قد جَمَعوا بينَ التَّوحيدِ الَّذي هو خلاصةُ العِلْمِ، والاستقامةِ في الأمورِ الَّتي هي غايةُ العمَلِ[3].

بلاغةُ المَجاز المُرسَل في ﴿ٱسْتَقَٰمُواْ﴾:

التَّصوير الحِسّيُّ للمَعاني يوَطِّدُ أثرَها في النَّفس

في قولِ اللّهِ تَعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ استعارةٌ، وذلك لأنَّ أصل الاستقامَةِ عدمُ الاعوجاجِ، فشُبِّهَت ملازَمَةُ الطَّريقِ المستقيمِ من فِعْلِ الأوامر واجتِنابِ النَّواهي – وهو معنويٌّ – بتركِ الانحرافِ والاعوجاجِ؛ إخراجًا للمعقولِ في صورةِ المحسوسِ؛ ليكون أعلقَ بالذِّهْنِ وأرسخَ في النَّفْسِ.

دلالةُ زيادةِ السِّين والتاء في: ﴿ٱسْتَقَٰمُواْ﴾:

أعظَمُ الكَرامَةِ لزومُ الاستِقامَةِ

السِّين والتّاءُ في ﴿ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ من قولِ اللّه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾؛ لطَلَبِ الاستقامةِ والتَّمسُّكِ بالأعمالِ الصّالحة لزومًا لِلطَّريقِ القَويمِ الَّذي لا انحرافَ فيه ولا اعوجاج، وفي ذلك إيماءٌ إلى أنَّهم كُلَّما امتَثلوا أمرًا، أو تركوا نهيًا؛ طلبوا

(1) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 17/ 466، والإيجي، جامع البيان: 4/ 125.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 27.
(3) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 113.

غيرَه لِلُزومِه، سعيًا مِنْهم لتحقيقِ كمالِ الاستقامة، ولذا جُعِلت غايةَ الكرامَةِ[1].

مَعنى (الفاء) في ﴿فَلَا خَوْفٌ﴾:

انتفاءُ الخوفِ والحُزنِ مُسبَّبٌ عن التَّوحيدِ والاستقامَةِ

الفاءُ في ﴿فَلَا﴾ من قولِ اللّه تعالى: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ داخلةٌ على الخبَرِ للتّأكيد؛ ولِما في الاسم الموصولِ الواردِ في قولِه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ﴾ من رائحةِ الشَّرْطِ[2]، وفي ذلك إيماءٌ إلى جزاءٍ مُترتِّبٍ على ذلك الشَّرط؛ وأنَّ انتفاء الخوف والحزنِ مسبَّب عن التَّوحيدِ والاستقامَةِ[3].

دلالةُ استعمالِ حرفِ (لا) في النَّفْي:

كمالُ الأمنِ لأهْلِ الإيمانِ

(لا) في قولِ اللّه تعالى: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ حرفٌ دالٌّ على النَّفْي، وهو مفيدٌ نفيَ الجنسِ برُجْحانٍ - في الأصلِ - وقد يُفيد نفيَ الواحد بمرجوحيَّةٍ، ويتعيَّنُ حملُها في الآيةِ على نفيِ الجنسِ لثلاثة أوجهٍ: أحدها: أنَّ هذا هو الرّاجحُ فيها، والعَمَلُ بالرّاجحِ واجبٌ لا راجحٌ، ثانيها: أنَّ المقامَ مقامُ مدحٍ وثناءٍ وتنويهٍ بشأن أهل الإيمان، وذلك لا يتحقَّق البتَّةَ إذا حُمِلَ النَّفي على الواحدِ؛ إذ يكون المعنى أنَّه لا يحصُلُ لهم خوفٌ واحدٌ، ولكن قد تحصلُ لهم مخاوِفُ متعدِّدةٌ، وهذا في غاية الفسادِ، يُنزَّهُ كلام اللّهُ تعالى عن مثلِه، وثالثها: أنَّ يعقوبَ قرأ (فلا خوفَ عليهم)[4] بإعمالِ "لا" عمل "إنَّ" وهي "لا" النّافيةُ للجنسِ، وهي نصٌّ في نفيِ الجنسِ، فدلَّ قولُ اللّه تعالى: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ على نفي مطلقِ الخوفِ؛ لأنَّ لفظ الخوف في الآية نكرةٌ واردةٌ في سياقِ النَّفي، فتَعُمُّ، ونفي الخوف عنهم يستلزِمُ ثبوتَ ضدِّه، وهو الأمن الكاملُ التّامُّ.

(1) ابن تيمية، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ص: 187.
(2) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 9/ 174، والهرري، حدائق الروح والريحان: 27/ 47.
(3) القونوي، حاشيةٌ على تفسير البيضاوي: 17/ 466.
(4) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر: 2/ 211.

نُكتَةُ استِعمالِ مُفردةِ: ﴿خَوۡفٌ﴾ اسمًا:

انتِفاءُ مُطلَقِ الخَوفِ عَن أهلِ الإيمانِ

جاءَ التَّعبير عن (الخوف) اسمًا في قول اللّهِ تعالى: ﴿فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ دونَ غيرها مِن نَحوِ: الهمِّ أو الغمِّ، لاختصاصِ الخوف بالمستقبَلِ، فهو غمٌّ يلحَقُ العبدَ من توقُّع المكروهِ[1]، بخلاف الهمِّ والغمِّ، فيكونانِ في أمورٍ مستقبلَةٍ أو ماضيةٍ، والمقصودُ في الآية وعْدُ أهل الإيمانِ المُستَقيمينَ على الطّاعةِ الملازِمين لَها، والوَعْدُ أمرٌ مستقبَلٌ.

ولم يُعبَّر عن الخوف بصيغة الفِعْلِ (يَخافون)، بل جيءَ به اسمًا؛ ليُفيدَ ثبوتَ النَّفْيِ وداومَهُ، بخلاف التَّعبير بالفعل المضارع، فإنَّه وإن دلَّ على الاستمرارِ إلّا أنَّه استمرارٌ تجدُّديٌّ، والدَّوام أبلغُ من الاستمرارِ التَّجدُّديِّ.

بلاغةُ التَّعبيرِ بالجُملةِ الاسميَّة: ﴿فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾:

الجَزاءُ مِن جنسِ العمَلِ

آثرَ النَّظمُ القرآنيُّ التَّعبيرَ بالجملة الاسميَّة في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ دونَ نفي الخَوْفِ بالجملة الفعليَّة المضارعيَّة: (فلا يخافون)؛ لأنَّ الجملةَ الاسميّةَ تدلُّ على الثُّبوتِ والدَّوام، وقولُهُم: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ واردٌ بالجُملةِ الاسميَّة، وهو دالٌّ على الثُّبوتِ والدَّوام أيضًا، فيتحقَّقُ التَّناسُبُ بينَ إثباتِهم الرُّبوبيَّةَ للمعبودِ بحقٍّ وحدَهُ سُبحانَهُ، وبينَ نفي الخَوْفِ عنهُم على سبيلِ الثُّبوتِ والدَّوام؛ ليكون الجزاءُ من جنسِ العمَلِ.

نكتةُ تنكيرِ لفظِ ﴿خَوۡفٌ﴾:

التَّأكيدُ على انتِفاءِ جَميعِ صُوَرِ الخَوْفِ ومراتِبِهِ

نُكِّرَ لفظُ (الخَوْف) في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾؛ للدَّلالةِ على العُموم؛ لكونِهِ نكرةً في سياق النَّفي، وهو مِن صيغِ العموم والاستغراقِ، فيكونُ الخوفُ الصّادقُ بأيِّ فردٍ من أفرادِهِ مهما قَلَّ نوعُهُ وضَؤُلَ مقدارُهُ مَنفيًّا عنهم، لا يتلبَّسونَ بشيءٍ منه.

(1) أبو البقاء الكفوي، الكليات، ص: 428.

ويجوزُ أن يكون التَّنكير لإرادَةِ التَّقليل والتَّحقيرِ، فيكون نفيًا لأقلِّ الخوفِ وأحقَرِه، وفي هذا تنبيهٌ بالأدنى عن الأعلى، فإنَّه إذا نُفِيَ الخَوْفُ اليسيرُ؛ فانتفاءُ العظيمِ مِنهُ أولى وأحرى.

مَعنى (على) ودلالتُها:

نَفيُ الخَوفِ عَنِ المُحسنينَ وإثباتُهُ للظّالِمينَ

(على) في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ حرفُ جرٍّ دالٌّ على الاستعلاءِ، وهوَ استعلاءٌ مَجازيٌّ، والغرضُ منهُ نفيُ تمكُّنِ الخوفِ منهم واستقرارُهُ عليهم، ففي الحرفِ استعارةٌ تصريحيَّةٌ تبعيَّةٌ؛ شُبِّهَ الخوفُ المُلامِسُ شِغافَ القلوبِ - المتعدِّي بـ (الباء) - بحملٍ ثقيلٍ يكونُ على أكتافِهم - يُتعدَّى إليه بـ(على) - ثمَّ استعارَ الثّاني للأوَّلِ؛ تَصْويرًا لعلوِّ الخوف وشدَّتِه على الخائفينَ.

وفي نفيِ الخَوف عنِ المُحسنينَ إثباتٌ لَهُ للظّالمينَ بدلالةِ التَّعريضِ.

مَعْنى(الواو) ودلالتُها:

تناسُبُ المَعاني مُقتضٍ الرَّبطَ بينَ المَباني

الواوُ في ﴿وَلَا﴾ من قولِ اللّهِ تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ عاطفةٌ الجملةَ بعدها على جملة: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾؛ لِما بينَهُما من التَّوسُّطِ بين الكمالَيْنِ، فإنَّ الجملتَيْنِ متَّحدتانِ في الخبريَّةِ، وبينهما تناسُبٌ في اللَّفْظِ والمعنى، فأمّا التَّناسُبُ اللَّفْظِيُّ؛ فاشتراكهما في الاسميَّةِ والنَّفْيِ، وأمّا التَّناسُبُ المعنويُّ؛ فهو في جمعِهما بين ما يُكدِّرُ النَّفْسَ، وهما الخوفُ والحُزْنُ، والخوف يكون من وقوعِ مَكروهٍ في المُستقبَل، والحُزْنُ من فواتِ محبوبٍ في الماضي[1].

نكتةُ العُدولِ عن الاسمِ (حزن):

تأكيدُ نَفْيِ الحُزْنِ عنِ المُحسنينَ

عدلَ النَّظمُ الكريمُ عَن نَفْيِ الحُزنِ بصيغةِ الاسمِ إلى نفيِهِ بالصِّيغة الفعليَّةِ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، فلم يرد في النَّظم القرآني: (فلا خوفٌ عليهم ولا حُزنٌ)؛ وذلك لمراعاة

(1) الهرري، حدائق الروح والريحان: 27/ 47.

التناسُبِ في الفواصلِ القرآنيَّةِ؛ إذ لو عُبِّر بالاسمِ؛ لفاتَ هذا التَّناسُبُ، وفي التَّعبير عن الحُزْنِ بالفِعْلِ أيضًا توكيدٌ لنفي الحُزْنِ عنهم، وذلك بتقديم المسندِ إليه على المُسنَدِ الفعليِّ، وهذا يقتضي تَكرارَ الإسنادِ؛ تأكيدًا لِدَوامِ نفي الحُزْنِ عن المحسنينَ، فقد أُسْنِدَ الحُزْنُ إلى ضَمير المحسنينَ ﴿هُمْ﴾ - وهو مِن إسناد الخَبَر إلى المبتدأ - وأُسْنِدَ الحزنُ إلى واوِ الجَماعَةِ الرّاجعة إلَيهم، وهو مِن إسناد الفعل إلى فاعِله، فَلَمّا تكرَّر الإسنادُ؛ تأكَّدَ المَعْنى، وقَوِيَ.

غرضُ التَّعبيرِ بالفعلِ المُضارعِ: ﴿يَحْزَنُونَ﴾:

الجزاءُ من جنسِ العَمَلِ

عُبِّر عَن نفي الحُزْنِ عنِ المُحسنينَ بالفعلِ المُضارعِ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾؛ للدَّلالةِ على نفي الحُزْنِ على سبيلِ التَّجدُّدِ الاستمراريِّ، أي: لا يتجدَّدُ لهُم شيءٌ من الحُزْنِ، وهذا أنسَبُ لمقابلَةِ الاستقامَةِ[1]، فالمرادُ استمرارُ النَّفْيِ لا نفيُ الاستمرارِ[2]؛ إذ لا يَعْرِضُ لهم حزْنٌ أصلًا، ثُمَّ إنَّ الاستقامةَ لمّا كانت تحصُلُ بمُلاحظةِ الأفعالِ والأعمالِ الصّالحةِ بطريقِ المُتابعةِ المُستمِرَّة وُصولًا إلى أعلى درجاتِ الكمالِ فيها؛ ناسبَ أن يزولَ الحُزْنُ عنهم بصيغةِ المُضارع؛ ليتحقَّقَ التَّوافقُ اللَّفظيُّ مع التَّوافُقِ المعنويِّ.

دِلالةُ تقديمِ الضَّمير ﴿هُمْ﴾:

نفيُ الحزنِ عنِ المحسنينَ وإثباتُهُ للظّالمينَ

قُدِّمَ المُسندُ إليه ﴿هُمْ﴾ على المُسندِ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾؛ لما في ذلك مِنَ التَّأكيدِ، ولِتَخْصيصِ نفيِ الحُزْنِ بهم لا بغيرهم، فالحزْنُ منتفٍ عَنهُم لا عن غيرهِم ممَّن لم يتَّصِف بالإيمان والاستقامَةِ على تفاوُتٍ بينَهُم[3].

وفي هذا التَّخصيصِ تعريضٌ بالظّالمين الَّذين يُنذَرونَ بالآياتِ،

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 144.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 82.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 27.

ولا يتَّعظونَ، وبالموحِّدينَ العامِلينَ للمَعاصي من غيرِ توبةٍ عنها، فالكافرونَ في خَوفٍ دائمٍ من العذابِ وحُزنٍ مُستمِرٍّ على ما جَنَوهُ، وضيَّعوهُ من خيرٍ عميمٍ، والعُصاةُ في خوفٍ؛ خشيةَ العذابِ على ما فعَلوه، وحُزنٍ على فَرَّطوا فيه من العملِ الصّالِحِ.

عِلَّةُ فَصلِ الآية عمّا قبلَها:

فُصِلَ قولُ اللّهِ تَعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ﴾ عمّا قبلَهُ؛ لكونِه بمَنزلةِ التَّوكيدِ لمضمونِ الجملةِ التي قبلَها، وقُدِّمَ نفيُ المحذور عنهم، وهو الخوف والحُزنُ، على إثباتِ السُّرور لهم، وهو دخول الجنَّة[1]، مِن بابِ تقديمِ التَّخليةِ على التَّحليةِ.

إثباتُ السُّرور بعدَ نَفْيِ المَحذور

بلاغةُ استعمالِ اسمِ الإشارةِ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾:

الإشارَةُ بـ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ في قَول اللّهِ تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ﴾ إلى المحسنينَ قَبْلُ باعتبارِ أوصافِهم؛ مِنَ الإيمانِ والاستقامَةِ؛ للإشعارِ بأنَّ تلكَ الصِّفاتِ هي سببُ بُلوغِهم هذه المراتبَ العاليَةَ والجزاءَ الجليلَ[2].

الإيمانُ والاستقامةُ سببانِ لبلوغِ المَراتِبِ العالِيَة

وفي التَّعبيرِ باسمِ الإشارَةِ إيماءٌ إلى أنَّهم متميِّزونَ بصُحْبَةِ الجنَّةِ أكملَ تمييزٍ وأبْيَنَهُ، وهذا أبلغُ في مدحِهم والثَّناءِ عليهم، وزادَ دِلالةَ المَدْحِ والثَّناءِ ما في اسمِ الإشارة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ من مَعْنى البُعْدِ المفيدِ بُعْدَ منزلتِهم في الخَيْرِ وعلوَّ رُتبتِهم في الصَّلاحِ.

دِلالةُ إضافةِ ﴿أَصۡحَٰبُ﴾ إلى ﴿ٱلۡجَنَّةِ﴾:

أُضيفَ لفظُ ﴿أَصۡحَٰبُ﴾ إلى ﴿ٱلۡجَنَّةِ﴾ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ﴾؛ للدَّلالةِ على أنَّهم صاروا معَها في صُحْبةٍ، وذلك أدلُّ على الاختصاصِ بها ممّا لو جاءَ في النَّظم القرآني: (أولئكَ في الجنَّة، أو لهُم الجنَّة)[3].

خلودُ أهلِ الإيمانِ في الجَنَّة

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 144.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 27.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 27.

وفي قول اللهِ تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ﴾ استعارةٌ مكنيَّةٌ؛ وذلك بتشبيهِ الجنَّةِ بمَن تتأتَّى صُحبتُهُ، ثمَّ حُذِفَ، وأُبقِيَ من خواصِّهِ ولوازمِهِ لفظُ ﴿أَصۡحَٰبُ﴾، وأُضيف إلى ﴿ٱلۡجَنَّةِ﴾ تخييلًا، وكأنَّ الجنَّةَ تحوَّلتْ إلى ذاتٍ عاقلةٍ، فصاحَبوها، ولازَموها في جميعِ الأوقات؛ إذِ الصُّحبةُ مُلازمةٌ طويلةُ الأمَد.

بلاغةُ استعمالِ مُفردةِ ﴿أَصۡحَٰبُ﴾:

مُلازمَةُ المُحسنينَ لنَعيمِ الجنَّة

عُبِّرَ بلفظِ (الصُّحبة) دونَ لفظ (الأهل) مثلًا في قولِ اللهِ تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ﴾؛ لأنَّ لفظَ الأهلِ يدلُّ على استحقاقِهم لها بقطعِ النَّظَرِ عن دخولِها، بخلافِ لفظِ الصُّحبةِ الَّتي تدلُّ على المُلازمةِ المُقتضيةِ دخولِها والتَّنعُّم بنعيمِها.

بلاغةُ التَّعبيرِ بالجُملةِ الاسميَّة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ﴾:

تَيئيسُ الظّالِمين المُشركينَ مِن دُخولِ الجنَّةِ

اختارَ النَّظمُ القرآنيُّ التَّعبيرَ بالجملةِ الاسميَّةِ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ﴾؛ للدَّلالةِ على ثبوتِ هذا الحُكم ودَوامِهِ لهُم.

وفي قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ﴾ أسلوبُ قصرٍ، وهو مِن قَصرِ الصِّفَةِ علَى المَوْصوفِ، وطَريقهُ: تعريفُ جُزأَيِ الإسنادِ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ و﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ﴾، ففيهِ قصرُ صُحبَةِ الجنَّةِ على أولئك المَذكورينَ؛ لأنَّ المقصورَ بتَعريفِ طَرَفَي الإسنادِ هوَ المُعرَّفُ باللّام، سواءٌ أكان مقدَّمًا أم مؤخَّرًا، و﴿أَصۡحَٰبُ﴾ هَهُنا مُضافٌ لِما فيه اللّامُ، فهو بمنزلَتِهِ.

وهذا القصرُ حقيقيٌّ تحقيقيٌّ؛ وذلك أنَّ دخولَ الجنَّةِ مقصورٌ حقيقةً على المؤمنينَ، لا يَشرَكُهُم فيها غيرُهُم، فإنَّ اللّهَ تعالى حرَّم الجنَّةَ عَلى الكافرينَ، ففي جُمْلَةِ القصرِ تَيْئيسٌ للظّالمين المُشْركينَ مِن دخولِ الجنَّةِ.

دلالةُ (ال) في ﴿ٱلۡجَنَّةِ﴾:

(الـ) في ﴿ٱلۡجَنَّةِ﴾ مِن قولِ اللهِ تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ﴾ لِلعَهدِ العلْميِّ في الجنَّة الَّتي وعَدَ اللهُ تَعالى بها عبادَهُ المُحسنِين، وهي جنَّة الخُلْدِ التي هي أطهر المنازِلِ وأشرفُها.

حِرمانُ الظّالمينَ المُشْركين مِن أشرَفِ المَنازِلِ

بلاغةُ التَّعبيرِ عَنِ الحالِ اسمَ فاعلٍ جَمْعًا:

عبَّر النَّظمُ الكريمُ بالحالِ في قولِ اللهِ تَعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾؛ للدَّلالةِ على بيانِ هَيئةِ أصحابِ الجنَّةِ المُشارِ إليهم بأنَّهم فيها خالدونَ، وهذه الحالُ أشبَهُ ما تكونُ بالحالِ المؤكِّدة؛ إذ فُهِمَ من الإضافةِ في ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ﴾ أنَّهم مُلازمونَ لها بحيثُ لا تنقطِعُ صُحبتُهُم أبدًا، وإلّا لم يكونوا مِن أصحابِها، فجاءَتِ الحالُ مُؤكِّدةً لصاحبِها مُثبتةً الخلودَ؛ للتَّصريحِ بما عُلِمَ ضِمْنًا[1]، أو تكون الحال مقيِّدَةً؛ لأنَّ ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ﴾ لا يقتضي بحسبِ الوَضْعِ اللُّغَوِيِّ الخلودَ والدَّوامَ، وإن كانَ العُرْفُ الشَّرعيُّ يَقْتَضيه، فَصُرِّحَ بالخلودِ؛ تنبيهًا على أنَّ هذِهِ الصُّحْبَةَ تقتضي الخُلودَ والدَّوامَ.

الـخُـلـودُ لازِمٌ لـ "أصـحـابِ الجنَّة" بحسَبِ الوَضْعِ الشَّرعيِّ

واختيرَ في الحال أن يكونَ اسمَ فاعلٍ؛ للدَّلالةِ على التَّلبُّسِ بهذا الوصفِ على سبيلِ الاستمرارِ.

وقد كان جَمْعًا مُذكَّرًا مِن باب التَّغليبِ، كما أنَّ لفظَ (المُحسنينَ) فيه تغليبٌ للمذكَّر على المؤنَّث كذلك؛ إذ إنَّ الإيمانَ باللهِ ربًّا والاستقامةَ ليسا ممّا يختصُّ بالذُّكور.

مَعْنى (في) ودلالتُها:

(في) من قول الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ حرف جرٍّ دالٌّ على الظَّرفيَّةِ، وفي ذلك دلالةٌ على كمالِ خُلودِهم في النَّعيم، حتّى إنَّ النَّعيم يُحيط بهم من كلِّ جانبٍ كإحاطة الظَّرْفِ بالمظروفِ.

كـمـالُ نَـعـيـمِ أصحابِ الجنَّة

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 144.

نكتةُ إيرادِ المفعولِ المطلق: ﴿جَزَآءً﴾:

لفظُ ﴿جَزَآءً﴾ من قولِ الله تَعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ مفعولٌ مُطْلَقٌ منصوبٌ بفعلٍ محذوفٍ، تقديرُهُ: جازَيْناهُم[1]، وفي التَّعبير بالمفعول المطلقِ توكيدٌ لثوابِهم المَوْعودينَ به، وهذا من تمامِ العنايةِ بالتَّنويه بهم وبشأنِهم[2].

العنايةُ بأحوالِهم تَستدعِي توكيدَ مآلِهم

مَعْنى (الباء) ودلالتُها في قولِهِ: ﴿بِمَا﴾:

الباءُ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ دالَّةٌ على السَّببيَّةِ، لا على المُقابلَة، وهيَ الدّاخِلَةُ على الأعْواض[3]؛ لأنَّ الأعمالَ ليست عِوَضًا عنِ الجنَّةِ، ولذا جاء في الحديثِ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «لَنْ يُدْخِلَ أحَدًا عَمَلُهُ الجَنَّةَ»، قالوا: ولا أنْتَ يا رَسولَ اللهِ؟ قالَ: «لا، ولا أنا، إلّا أن يَتَغَمَّدَني اللهُ بفَضْلٍ ورَحْمَةٍ»[4]، فالباءُ في الآية سببيَّةٌ، وأفاد هذا أنَّ الأعمالَ الصّالحةَ سببٌ في دُخولِ الجنَّة بفَضْلِ اللهِ تعالى ورَحْمَتِهِ.

الأعمالُ الصّالحة سببٌ في دخولِ الجنَّة لا عِوَضٌ عَنْها

مَعْنى (ما) ودلالةُ استعمالها:

(ما) في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ اسمٌ موصولٌ، وهوَ دالٌّ على العُمومِ والإبهام، الدّالَّيْنِ على أنَّهم يُجازَونَ عن كلِّ عملٍ، صغيرًا كان أو كبيرًا، قليلًا كان أو كثيرًا، وفي هذا إشارةٌ إلى كمالِ علمِ اللهِ تعالى بما يَعملونَهُ مِن خَفايا الأعمالِ الَّتي لا تظهَرُ للعيان.

العُمومُ في الأعمالِ مُنبِئٌ عَن كَمالِ الإحاطَةِ بِها

كما أفادَ التَّعبيرُ بـ (ما) الموصولِيَّة التَّعليلَ بجملةِ الصِّلة للجَزاء الواقعِ نتيجةَ تلك الأعمالِ المُتَقَرَّب بِها.

---

(1) الهرري، حدائق الروح والريحان: 27/ 47.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 28.

(3) ابن هشام، مغني اللبيب، ص: 141.

(4) رواه البخاري في صحيحه، برقم: (5673)، ومسلم في صحيحه، برقم: (2816)، وفي لفظٍ عِنْدَ أحمد في مسنده، برقم: (7479): «لا يَدخُلُ أحَدٌ مِنكُمُ الجَنَّةَ بِعَمَلِهِ».

غرضُ التَّعبير بفِعْلِ الكَوْنِ ﴿كَانُواْ﴾:

رُسوخُهُم في الأعمالِ الصّالِحَةِ صَيَّرها مِن جِبِلّاتِهم

جاءَ التَّعبير في جملة الصِّلة في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ بفعل الكَوْن ﴿كَانُواْ﴾، فلم يرِد في النَّظم القرآني: (جزاءً بما عملوا، أو يعملونَ)؛ للدَّلالة على التَّمكُّنِ مِنَ العمَل المُستقرِّ فيهم، وذلك أنَّ فعلَ الكونِ يدلُّ على مُطلَقِ الحدَث الشّاملِ لجميع الأفعالِ، وعندَ ارتباطِهِ بفعلٍ خاصٍّ يُفيدُ تلبُّسَهُ بذلك العملِ على سبيلِ اللُّزومِ والاستقرارِ والوُجودِ والاتِّصاف، حتّى صارَ ذلك طبيعَةً وجِبِلَّةً لَهُم[1]، فهُم لا يَنفكّونَ عن تلك الأعمالِ الحسَنة في مختلفِ أحوالِهم.

بلاغةُ التَّعبير بالعمَلِ دون الفِعْلِ:

الفِعْلُ أعَمُّ مِنَ العمَل؛ لِشُمولِهِ المَقْصودَ وغيرَ المَقْصودِ

استعملَ النَّظمُ القرآنيُّ فعلَ (العمل) خبرًا لاسمِ الكونِ في قولِ اللّه سُبحانَهُ: ﴿جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ دونَ لفظِ (يفعلونَ)؛ للدَّلالةِ على الفعلِ المَقصودِ المُرادِ إنجازُهُ، بخلافِ التَّعبير بلفظِ (الفعل)؛ فإنَّهُ شاملٌ للمقصودِ وغيرِه، فالعمَلُ - على هذا - أخصُّ مطلقًا مِنَ الفِعل، وفي ذلك أمارَةٌ على أنَّهم كانوا يقصدونَ بأعمالهم القُرْبَ إلى اللّه تعالى وابتغاءَ مرضاتِه.

نكتةُ التَّعبيرِ بصيغةِ المُضارع ﴿يَعْمَلُونَ﴾:

تجدُّدُ أعمالِهم مسارَعَةٌ مِنهُم إلى رِضا رَبِّهم سُبحانَه

آثرَ البيانُ القرآنيُّ استعمالَ خبرِ فعل الكَونِ فِعلًا مُضارعًا في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾؛ للدَّلالةِ على أنَّ العمَلَ يَصدُرُ منهُم على سبيلِ التَّجدُّدِ والاستمرار، وما ذلك إلّا لحرصِهم على شَغْلِ زمانِهم بفعلِ الطّاعاتِ واجتنابِ المنهيّاتِ.

غرضُ حذفِ مُتعلَّقِ فِعلِ ﴿يَعْمَلُونَ﴾:

حُذِفَ مُتعلَّقُ الفعلِ ﴿يَعْمَلُونَ﴾ الواردِ في قولِ اللّه ﷻ: ﴿جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾، وهو الضَّميرُ المنصوبُ العائدُ إلى المَوصول،

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 144.

والتَّقديرُ: (جزاءً بما كانوا يعملونَهُ)، وحذفُ العائد المنصوبِ بالفِعْلِ كثيرٌ في كلام العرَبِ[1].

العُمومُ يتقوَّى بالحَذْفِ كما يتقوَّى بذِكْرِ اللَّفظ

وفي حذفِهِ إيماءٌ إلى العموم؛ لأنَّ حذْفَ المتعلِّق مؤذِنٌ بذلك، فيشملُ الأعمالَ كُلَّها، عظيمها وصغيرَها، قليلَها وكثيرَها، باطنَها وظاهرَها[2].

(1) الأشموني، شرح ألفية ابن مالك: 1/ 156.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 8/ 82.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والخمسون،
سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والخمسون، سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 55 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-659-89-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 55 : المجلد الخامس والخمسون، سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-659-89-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4299298 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"